

أضواء البيان

@ 59 @ وقوله تعالى : { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ - يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } . . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَايَهُ وَكَيْلًا } ، استفهام إنكار فيه معنى النفي . . .

والمعنى : أن من أضلّه الله فاتخذ إلهه هواه ، لا تكون أنت عليه وكيلاً ، أي : حفيظاً تهديه وتصرف عنه الضلال الذي قدّره الله عليه ؛ لأن الهدى بيد الله وحده لا بيدك ، والذي عليك إنما هو البلاغ ، وقد بلاّغت . . .
وهذا المعنى الذي دلّلت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { إِنْ زِلْتُمْ لَاتَهْدِي مَنْ أَضَلَّتْ - وَلَا تَكُنْ لِلَّهِ - يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } ، وقوله تعالى : { إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ - يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ } ، وقوله تعالى : { أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُوْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ - } ، وقوله في آية (فاطر) المذكورة آنفياً : { فَإِنَّ اللَّهَ - يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ } ، وقوله تعالى في آية (الجاثية) المذكورة آنفياً أيضاً : { فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ - } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة ، والعلم عند الله تعالى . { أَمْ تَحْسَبُ أَنْ - } أكثرهم° يسمعون° أو° يعقلون° إنهم° هم° إلا° كالآلة° نعام° بل° هم° أضلُّ° سيلاً° } . { أَمْ° } ، في هذه الآية الكريمة هي المنقطعة وأشهر معانيها أنها جامعة بين معنى بل الإضرابية ، واستفهام الإنكار معاً ، والإضراب المدلول عليه بها هنا إضراب انتقالي . . .

والمعنى : بل { تَحْسَبُ أَنْ - } أكثرهم° يسمعون° ولا يعقلونه ، أي : لا يدركونه بعقولهم : { إِنْ° هُمْ° إِلَّا° كَالْأَنْعَامِ } ، أي : ما هم إلا كالأنعام ، التي هي الإبل والبقر والغنم في عدم سماع الحق وإدراكه